أحلام صغيرة

تفتحين هاتفكِ مساءً، تثرثرين مع نفسك، تشرعين في كتابة مذكرة جديدة. تبدئينها كأنكِ تتحدثين لشخصٍ آخر بائحةً بحكمة عميقة من كلمات، لستِ متأكدة إن كانت عميقة فيما هو أبعد من ذلك!

"نقول أحلامنا الكبيرة للجميع، ونخجل من ذكر أحلامنا الصغيرة، أو التي نعتقد خطأ أنها صغيرة، تلك التي كانت ستغير حياتنا للأبد لو تحققت يومًا، ستمنحنا حياة مثالية أو شبه مثالية كنا نحلم بها. تفركين رأسك فجأة قبل أن تواصلي كأنكِ قد وقعتِ على اكتشاف خطير!، إذن فالأحلام الصغيرة مثالية، نحن نخجل من فكرة المثالية نفسها، نفلت من هذا السحر، لنبوح بأحلام كبيرة يعتبرها الآخرون واقعية ومهمة."

من الذي يحدد أهمية أحلامَك؟! وما الذي يعرفونه هم عن أهمية الأحلام الصغيرة المتناثرة المختبئة بداخلَك؟! إنهم لا يعرفون شيئًا، ولن يعرفوا، وستضطر أنتَ لمجاراتهم دائمًا! والثرثرة عن حلمٍ كبير سيبدو منطقيًا ومهمًا، فقط لأنه يحمل هذه المسحة الواقعية اللعينة، فقط لأنّ احتمال تحققه أكبر من احتمال تحقق حلم صغير بشكلٍ لا يصدق!

حسنًا، أريد الزواج من طبيب نفسي! لو خطر ببالكِ هذا، ما احتمالية أن يتحقق الأمر؟ احتمال ضعيف جدًا، أضعف من احتمال حصولكِ على ماجستير ودكتوراه بتفوق، وحصولكِ على وظيفة أيضًا "أحلام كبيرة". يبدو الحلم الصغير سخيفًا، مفتقدًا للمنطقية في عيون الآخرين. ما احتمالية أن تقابلي طبيبًا وتحبيه؟ بالتأكيد، أنتِ لا تنوين الوقوع في غرام أول طبيب من هذا النوع ستصادفينه في حياتك، بل لا يمكنكِ أن تسعي لهذا بنفسك، هراء! وأزيز السؤال يخترقُ دماغكِ ملحًا: ما احتمالية تحقق هذا الأمر؟

من ستشرحين له مبررات تعلقكِ السري بهذه الأمنية؟!، وإن شرحتِ، من سيمكنه أن يفهمها؟ أمنية ستبدو سخيفة، ومبرراتها أوهى، من ستشرحين له نظريتكِ العميقة عن أن مهنة الإنسان جزءٌ لا يتجزأ من شخصيته بصورة رهيبة! الجميع يعرفون هذا المبدأ، لكنهم لا يدركونه بعمق كما تدركينه أنتِ!

تريدين زواجًا يحقق مصلحة عليا بالنسبة لروحك. شخص يستطيع أن يفهمك دائمًا. تريدين زواجًا يحقق مصلحة أقل أهمية، مدقق لغوي، يدقق لي دائمًا ما أكتبُه، يفتشُ عن أخطائي النحوية! تبتسمين للفكرة البلهاء، كانت مجرد نزوة منكِ أن تفكري في الزواج من مدقق لغوي، نزوة لها ما يبررها على أية حال بالنسبة إلى وضعك ككاتبة، وولعك الجنوني بسلامة اللغة.

تريدين الزواج من ملحن أو رسام، سيرسمك في لوحاته، ويعزفك في أغنياته، كانت تلك أمنيتك أيام المراهقة.

ترفضين الآن بعمق من الداخل فكرة الزواج من أي رسام أو ملحن أو أي شخصٍ يرتبط اسمه بعالم الفن والأدب والكتابة.

لن تتزوجي من شاعر، لأنكِ تعرفين جيدًا أنه سيكتب قصائد في أخريات. لن تتزوجي من كاتب بشكلٍ عام، لأنّ النساء هنّ ملهماتهم دائمًا. عندما تحب الشاعرة أو الكاتبة رجلاً، يكون ملهمها الوحيد، لا يمكن للمرأة الفنانة أن يلهمها أكثر من رجل واحد، لكن يمكن لرجلٍ فنان أن تلهمه مئات النساء! من ستشرحين له نظريتكِ هذه أيضًا؟!

تضحكين من السؤال، تتقلص ملامحُ وجهكِ فجأة، ها هو القلق الذي يأكل قلبك يطل من عينيكِ، تخشين من أن تجدي نفسك في النهاية مخطوبة

لطبيب غير نفسي أو مهندس؟ تسود الدنيا في عينيكِ الرومانسية، هؤلاء الأشخاص العمليون! من.. ستشرحين له نظريتك؟